

تنازع القومي والسياسي ومظاهره اللغوية في الخطاب الكردي
الناطق بالعربية حول استفتاء الانفصال عن العراق ٢٠١٧

د. نورهان عبد الرؤوف أحمد
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الألسن – جامعة عين شمس

The conflict of national and political factors and its linguistic expression in Arabic-speaking Kurdish discourse on the secession from Iraq referendum 2017

abstract

This article studies the main linguistic aspects of national minority discourse, especially those aspects that reflect conflict between their national constants and the necessities of their political reality.

The study follows the perspective of Discourse Analysis and makes use of some concepts of cognitive semantics.

It examines the label the Kurds define themselves by in Arabic, the concept of "Kurdish people" employed in the selected examples of the discourse and the discursive methods of "self" and "other" representation.

Keywords:

discourse formation discourse analysis – cognitive semantics – Kurds

تنازع القومي والسياسي ومظاهره اللغوية في الخطاب الكردي الناطق بالعربية حول استفتاء الانفصال عن العراق ٢٠١٧

ملخص

يدرس هذا البحث المظاهر اللغوية المميّزة لخطاب الأقليات القومية، لا سيما تلك المظاهر اللغوية التي تعكس موقفاً خطابياً يجد فيه مرسلو الخطاب أنفسهم مذنبين بين ما تُلميه ثوابتهم القومية وموضوعاتها الخطابية الجوهرية وأساليب تمثيلها من جهة، وما تُحتمه ضرورات واقعه السياسي من جهة أخرى. وهو موقف مثله أصدق تمثيل الخطاب الكردي الناطق بالعربية حول استفتاء الانفصال عن العراق في ٢٠١٧.

والبحث ينتمي إلى مجال تحليل الخطاب الذي يدرس الرسالة اللغوية في سياق إنتاجها والروابط بين مكوناتها في مستوى يتجاوز مستوى الجملة، كما أنه يفيد من مفاهيم علم الدلالة الإدراكي الذي يبني بحوثه على العلاقة القائمة بين النظام الإدراكي الكامل لدى البشر والجوانب الدلالية المُتضمّنة في بنية اللغة.

يرصد البحث ظلال التسمية التي يعين بها الكرد أنفسهم في العربية، وجوانب مفهوم "الشعب الكردي" الموظفة في النماذج المختارة من الخطاب الكردي وتوجهاتها، كما يحلل الأساليب الخطابية في تمثيل الذات والآخر، ويخرج من هذا كله بتحديد أهم مواطن التذبذب الخطابية الذي فرضه التنازع بين المكونين القومي والسياسي.

كلمات مفتاحية: تحليل الخطاب – علم الدلالة الإدراكي – الكرد – الأقليات – التشكيلية الخطابية

تنازع القومي والسياسي ومظاهره اللغوية في الخطاب الكردي الناطق بالعربية حول استفتاء الانفصال عن العراق ٢٠١٧

□ مقدمة:

من المقاصد الملازمة لكل خطاب سياسي أن يُكسبَ مُرسِلَه قبولَ المتلقين وتسليمهم بشرعية توجهه، ثم انخراطهم وتماهيهم مع مصالحه إن أمكن. وفي لحظات الخيارات التاريخية المصيرية تترى أهمية هذه المقاصد الخطابية، وتزايد معها صعوبة تحقيقها. أما الأصعب مطلقاً فهو أن يتوجه الخطاب في مثل تلك اللحظات التاريخية إلى جمهورٍ من المتلقين متعدّدٍ في انتماءاته، متنازعٍ في توجهاته، متنافرٍ في مشاعره... أن يخرج مُرسِلُ الخطاب من محيط قواعده الشعبية ومؤيديه المفترضين سلفاً، ليوجه خطابه إلى آخرين من غيرهم؛ مرتدياً رداءهم اللغوي، باحثاً عن مواضع تلاقية معهم، مُغفلاً مواضع الخلاف أو مكتئماً عليها، ساعياً إلى تمثيل ذاته وجماعته تمثيلاً إيجابياً أمامهم... وأن يفعل ذلك كله دون أن يجور على منطلقاته المبدئية، أو يخرج على ثوابت جماعته، أو يخسر دعم مؤيديه الأولين.

في هذا الموقف تماماً وجد مُرسِلو الخطاب الكردي الناطق بالعربية أنفسهم في زمن التحضير والحشد لاستفتاء الانفصال عن العراق سنة ٢٠١٧. ومظاهر هذا التذبذب في الموقف الخطابية المنعكسة في لغة الخطاب هي ما يسعى هذا البحث إلى تحليلها؛ من خلال نماذج خطابية تضم كلمة للسيد مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان العراق من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٧، ألقاها بالعربية بتاريخ ٢٠١٧/٩/١٦ في عدد من زعماء عشائر سهل نينوى، وهي منطقة معروفة تاريخياً بتعدد الأعراق والطوائف. وإلى جانب كلمة بارزاني تضم نماذج الدراسة عدداً من مقالات شهر سبتمبر/أيلول ٢٠١٧ في جريدة "التأخي" التي تصدر في العراق عن الحزب الديمقراطي الكردستاني، وهو أحد الحزبين الكرديين الرئيسيين في كردستان العراق، ويرأسه بارزاني نفسه^(١).

يندرج هذا البحث ضمن مجال تحليل الخطاب الذي يدرس الرسالة اللغوية في سياق إنتاجها والروابط بين مكوناتها في مستوى يتجاوز مستوى الجملة، كما أنه يستند إلى مجموعة من المفاهيم النظرية لعلم الدلالة الإدراكي الذي يبني بحوثه على العلاقة القائمة بين الخبرات الذهنية والنظام الإدراكي الكامل لدى البشر والجوانب الدلالية المُتضمَّنة في بنية اللغة.

□ لمحة تاريخية:

لم يتوقف سعي الكرد إلى الحصول على دولة مستقلة لهم منذ أواخر العهد العثماني بدايات القرن العشرين، ولا يزالون إلى اليوم يُقدِّرون معاهدة "سيفر" التي وعدت باستقلال نسبي لهم سنة ١٩٢٠ بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، الوعد الذي تراجعت عنه القوى الاستعمارية فيما بعد، وبقيت منطقة "كردستان" – كما يراها الكرد، وكما هو معروف اليوم – مقسمة أساساً بين دول أربعة لم تنقضِ مواجهات الكرد مع أنظمتها، هي: تركيا والعراق وإيران وسوريا.

في العراق يحظى الكرد بحكم ذاتي في إقليم "كردستان العراق" منذ ١٩٧٠، لكن العلاقة بين الإقليم والحكومة المركزية ظلت تشهد حالة من المد والجزر، والغليان أحياناً؛ الذي عرف أوجّه في عهد الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين، والذي حوكم على خلفيته صدام ثم أُعِدِم في عهد الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣.

لم تستقر أوضاع العراق عمومًا بعد الاحتلال الأمريكي له، ولا بعد الانسحاب منه. وازدادت الأوضاع الأمنية سوءًا مع ظهور تنظيم "داعش"، وضعف سلطة الدولة العراقية على مناطق عدة، سعى الإقليم إلى ضمها لنفوذه الأمني، كما ضعفت قدرة السلطة المركزية على التحكم في الحركة الاقتصادية، وخاصة حركة تصدير نפט الإقليم، هذا كله في ظل حالة متصاعدة من الاحتقان الطائفي والمذهبي؛ إلى أن أعلنت حكومة الإقليم سنة ٢٠١٧ عن إجراء استفتاء انفصال الإقليم في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر/أيلول من السنة نفسها.

ولا بد من الإشارة إلى كون إقليم كردستان ومناطقه التي شملها الاستفتاء لا ينحصر سكانه ضمن العرق الكردي وحده، ولا ضمن دين أو طائفة أو مذهب دون غيره، بل يضم بدوره أقليات من العرب والتركمان والشبك، تتعدد انتماءاتها الدينية والمذهبية.

□ أولاً: ظلال التسمية... "كرد" أم "أكراد" أم "كردستانيون":

في ظرف حشد الجماهير للمشاركة بالموافقة على تأسيس دولة مستقلة عن العراق تحت اسم "دولة كردستان"، كان المسوغ السياسي الأساسي هو وجود شعب مميز لهذه الدولة؛ فمن المنطقي أنه لا تقام دولة دون وجود شعب خاص بها، وهذا الشعب هو الذي يمنحها شرعية الوجود وشرعية الاعتراف الدولي.

فمن الشعب الذي يُعَيِّنُه خطاب الحشد الكردي، وبخاصة ذلك الناطق بالعربية؟ وكيف يعينه؟

يلاحظ في الخطاب السياسي متمثلاً في كلمات السيد مسعود بارزاني الاستخدام المتكرر لتعبير "شعب كردستان" أو "الشعب الكردستاني"، بدلاً من "الشعب الكردي" (الكوردي)، يقول مثلاً:

- "القرار اتخذ بالإجماع بكل مكونات شعب كوردستان.. الدينية، المذهبية، والقومية". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

أما الخطاب الصحفي فيتردد بين الاستخدامين؛ فيتفق حيناً مع الخطاب السياسي:

- "اقتراب اليوم التاريخي الذي سوف يحقق فيه شعب كوردستان بكورده وعربه ومسيحيه وإيزيديته وشبكه وتركمانه الأمل المنشود في الاستفتاء المقرر إجراؤه في الخامس والعشرين من أيلول الجاري؛ ليكون هذا اليوم عيداً وطنياً لكوردستان على مر الأزمان". (٢٠١٧/٩/١٠) (لؤي فرنسيس)

- "تقوم حكومة بغداد برفض حق تقرير المصير للشعب الكوردستاني بشتى الوسائل". (٢٠١٧/٩/١١) (سوزان ناميدي)

ويختلف معه حيناً آخر:

- "ما تعلمه الأخير منذ حملته السلاح تحت ظل والده المُلا مصطفى البارزاني الأب الروحي للشعب الكوردي ... ترجمها... عبر بناء جيش قوي من البيشمركة". (٢٠١٧/٩/١٠ كجال درويش)

- "لعل قرار الاستفتاء الذي اتخذه الرئيس بارزاني كان لإنقاذ شعبه من الظلم والاستبداد ومواجهة مشاريع دول المنطقة التي تنفذها عبر ميليشياتها لتحقيق هدفها القائم أساساً على إفراغ المنطقة من الشعب الكوردي وإنهاء القضية الكوردية الخطرة في منظورهم السياسي؛ بوصفها تعد تهديداً لكياناتهم التي تستعمر كردستان منذ مئات السنين". (٢٠١٧/٩/١٠ كجال درويش)

- "والدولة الكوردية التي يريدها الشعب الكوردي إنما هي الولادة الطبيعية لهذا النضال الطويل والزاهر، الذي دفع في سبيله الشعب الكوردي الغالي والنفيس". (٢٠١٧/٩/١٨ ديار حاجي)

من الجدير بالإشارة في هذا الموضوع أن الخطاب الكردي المكتوب بالعربية، والذي يُفترَض فيه أن يعمل على التقرب من الناطقين بها وكسبهم لدعم مقاصده، يصر على مخالفة صريحة ومتكررة لأعرافها، تتمثل في كتابة لفظ "كرد" وجميع الكلمات التي يشترك فيها بإضافة الواو علامة الحركة الطويلة، فيكتب "كورد" - "كوردي" - كردستان...، بخلاف الكتابة العربية المعتادة والصحيحة وفق النطق العربي بالحركة القصيرة "كُرد" - "كُردي" - "كُردستان"...، علماً بأنه يشيع بين الكرد عدد من الآراء التي تصحح كتابة اللفظ بالواو وترى خطأ الكتابة العربية؛ مُرجعة ذلك إلى الأصل التاريخي السومري له^(١). وهي تعتمد على حجج تاريخية أو لغوية غير عربية - سواء أكانت محقة أم مخطئة -، أما عربياً فالكلمة من جهة تُردُّ في المعجمات وكتب التراث العربية بكتابتها المعتادة، ومن جهة أخرى تُنطق بحركة قصيرة حتى من قِبَل الكرد أنفسهم حين يتحدثون العربية^(٢). وفي جميع الأحوال فإن العدول عن الصورة المألوفة لكتابة الكلمة في العربية يصنع مسافة وتباعداً نفسياً بين المتلقي عربي اللسان وبين الخطاب ومقاصده.

أما لفظ "الأكراد" الشائع عربياً، فلا يكاد يظهر أثر له في الخطاب الكردي؛ لعل لدلالة وزنه على جمع القلة أثراً في رفضه كردياً في سعي الخطاب للتعبير عن التوازن والندية فيما بين الكرد والعراقيين العرب، لكن الأهم هو ما حُمِلَ به اللفظ تاريخياً في بعض التراثيات العربية من دلالات ازدراء الكرد وتشويههم، منها ارتباط اللفظ باتهام الكرد بالسلب وقطع الطريق، ومنها تشبيههم بالأعراب الذين ذمهم القرآن الكريم اعتماداً على تشابه الوزن الصرفي للكلمتين، بما تحمله كلمة "أعراب" من دلالات البداوة والغلظة. من تلك التراثيات العربية - على سبيل المثال لا الحصر - ما أورده ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في معجمه للبلدان باحتراز واستغفار، عند ذكره مدينة "شَهْرَزُورُ" - التي تعرف اليوم بـ"حلبجة" وتقع في كردستان العراق -:

"... إلا أن الأكراد في جبال تلك النواحي على عادتهم في إخافة أبناء السبيل وأخذ الأموال والسرقة ولا ينهاتهم عن ذلك زجر ولا يصددهم عنه قتل ولا أسر، وهي طبيعة للأكراد معلومة وسجية جباههم بها موسومة، وفي ملح الأخبار التي تكسع بالاستغفار: أن بعض المتطرفين قرأ قوله تعالى: الأكراد أشد كفرةً ونفاقاً، فقيل له: إن الآية: الأعراب أشد كفرةً ونفاقاً، فقال: إن الله عز وجل لم يسافر إلى شهرزور فينظر إلى ما

هنالك من البلايا المخيّات في الزوايا، وأنا أستغفر الله العظيم من ذلك وعلى ذلك، وقد خرج من هذه الناحية من الأجلة والكبراء والأئمة والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء ما يفوت الحصر عدّه ويعجز عن إحصائه النفس ومدّه...^(٤).

وربما كانت تسمية بعض المؤلفين العرب الكرّدَ بـ"أعراب فارس"، وما تحمله الإضافة من إلحاقهم بالأمة الفارسية ونفي استقلالهم، من الأسباب التي حدثت بالكرد إلى الابتعاد التام عن أي تشابه مع وزن الكلمة.

قد تكون جميع هذه الدلالات غائبة بشكل كبير عن الذهن العربي المعاصر، لكنها حاضرة بقوة في الذهن الكردي، يتردد صداها في عدة مواضع من الخطاب، منها:

- "والسؤال هل انهماك العرب بقضايا أهم وراء عدم إثارتهم أي تحفظ بشأن قيام كيانات غير عربية في أراضٍ احتفظ العرب بها مئات السنين، وقد كان الكورد في نظر الغلاة العرب ليسوا إلا أعراب الفرس بناء على رؤية المؤرخ العربي الطبري وغيره ممن دحضوا أي وجود للهوية القومية الكوردية في بلاد العرب". (٢٥/٩/٢٠١٧ ٢٠ نايلين عبديو)

وهو قولٌ نقله الطبري (ت ٣١٠هـ) في كل من تاريخه وتفسيره؛ عند ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام، وتفسير قوله تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} (الأنبياء ٦٨)؛ حيث يروي عن بعض محدّثيه أن قائلها "رجل من أعراب فارس، يعني الأكراد"، ويورد ما نصه: "عن مجاهد، قال: تَلَوْتُ هذه الآية على عبد الله بن عمر، فقال: أتدري يا مجاهد، من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت: لا، قال: رجل من أعراب فارس، قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن، وهل للفرس أعراب؟ قال: نعم، الكرّد هم أعراب فارس، فَرَجَلٌ منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار"^(٥).

فيما يخص التعبير الكامل "شعب كردستان" أو "الشعب الكردستاني"، فإن دمج اسم "كردستان" مع الشعب في مركب لغوي واحد؛ تارة إضافة تخصيصية وتارة وصفاً محدّداً، يسعى إلى الإيحاء بالصفة الرسمية ومن ثم اكتساب شرعية دولية، لكنه في الوقت نفسه يدور بالمراجع الإحالية لكل من الشعب والدولة في حلقة مفرغة؛ فدولة كردستان لم تُقَم رسمياً بعد أو تُرَسِّم حدودها – في زمن الخطاب – لِيُكسِبَ اسمها مَنْ يحمله تمييزاً إحيائياً بوصفه مرجعاً للكلمة في العالم المادي. وبذا يكون الشعب المحال إليه، والذي يعد بذاته شرطاً لقيام الدولة وتمييزها، قد خصص ووصف بلفظ ملتبس الدلالة مموه المرجع؛ فلا الشعب وضحت ملامح تحدد من ينتمي إليه لِيُكوِّن الدولة، ولا الدولة قائمة رسمياً تميز مواطنيها.

يبقى للناظر في مرجع الكلمتين أن يبحث في الأبعاد غير الرسمية لهما؛ ليجد أن المَعْلَم الوحيد المتاح لتعيين الشعب المحال إليه يكمن في اللاحقة المكانية "– ستان" المستخدمة في اللغة الكردية وبعض اللغات الهندوأوروبية، فيتعين المقصود بـ"الشعب الكردستاني" و"شعب كردستان" بأنه كل من يعيش على "أرض الكردي" أو "مكان الكردي".

بهذا يظهر المغزى الخطابى من استعمال "الكرديستاني" بدلاً من "الكردي"؛ فالأولى تجعل من المكان معياراً للانتماء، في حين تعتمد الثانية المعيار العرقي؛ الذي قد يقصى - إذا استعمل - العديد من الفئات التي يسعى الخطاب إلى حشدها للمشاركة، وبخاصة إذا أخذ في الحسبان أن الخطاب موضع هذه الدراسة هو خطاب مُلقى باللغة العربية لا الكردية، وموجه في كثير من الأحيان إلى أهالي المناطق مختلطة الأصول والأعراق والطوائف. كما أن ذلك المعيار العرقي قد يضع مرسل الخطاب وجماعته الخطابية discourse community الداعية لاستفتاء الانفصال تحت الاتهام العنصري نفسه الذي تتهم به الآخر: عراقيين وعرباً، والذي تتخذ منه سبباً لدعوتها.

في الواقع لا يترك الخطابُ متلقيه يتخبطون في هذا اللبس المرجعي، لكنه يتخذ منه توطئة واضحة لتعيين ما يحيل إليه بـ"الشعب"، فيعمد إلى جمع التعددات العرقية والثقافية والطائفية التي يعدها مكونات هذا الشعب في سلاسل لفظية طويلة أو متواليات متوازية متشابهة الجرس؛ يعطي جمعها معاً وتشابهاً في الصيغة والموقع والحالة الإعرابية انطباعاً بالتكامل والمساواة فيما بين مراجعها، مع ترصيع تلك الصياغات أحياناً باستعارات تثير عاطفة المودة والاحتواء كاستعارة التآخي، أو تعتمد على الإيحاء الحسي بالنشوة والسلام كاستعارة العطر:

- "قطماً ستكون دولة للكردي.. للعرب.. للتركماني.. للمسلمين.. للمسيحيين.. للإيزيديين... لكل المذاهب والأديان". (بارازاني ٢٠١٧/٩/١٦)
- "نحن إخوة مع العرب.. إخوة مع التركمان، نحن إخوة وأصدقاء وشركاء في كل شيء، نحن إخوة مع المسيحيين". (بارازاني ٢٠١٧/٩/١٦)
- "اقترب اليوم التاريخي الذي سوف يحقق فيه شعب كوردستان بكورده وعربه ومسيحييه وإيزيديته وشبكه وتركماته الأمل المنشود". (٢٠١٧/٩/١٠ لؤي فرنسيس)
- "تعيش مجموعة مكونات قومية وإثنية ودينية ومذهبية بمنطقة سهل نينوى المحاذية لحدود مدينة الموصل شمالاً التي تعد الحد الفاصل بين كوردستان ومحافظة نينوى، وهذا السهل هو امتداد جغرافي لكوردستان حيث يقطنه الكورد الإيزيديون والمسيحيون والكورد الشبكي والتركماني والكورد الكاكينية وعدد من القرى العربية، وقد تعايشت هذه المكونات مع بعضها منذ نشوئها في المنطقة متأخية من دون مشاكل وخلافات، بالرغم من ما حصل في العراق بعد ٢٠٠٣ من تطرف طائفي وانقسام مذهبي لكن سهل نينوى كان دائماً بعيداً عن تلك المشاكل وكانت دائماً رائحة زهوره المكوناتية تعطر زائرها بالسلام والأمان والاستقرار، لحين دخول داعش الإرهابي المجرم واحتلاله هذه المنطقة الآمنة حيث هرب غالبية سكانه إلى ملاذهم الآمن في كوردستان". (٢٠١٧/٩/١٧ عصمت رجب)

إلى جانب الجار والمجرور "بمختلف" المتكرر في نصوص الخطاب، والذي يؤكد على "الاختلاف" وقبوله فيما بين مكونات الشعب؛ مفيداً من معاني الإلصاق والمصاحبة والاستعانة المرتبطة بحرف الباء^(١)، فكأن وجود الشعب لا يتحقق دون هذه الاختلاف:

- "لا شك في أن الخامس والعشرين من هذا الشهر له معانيه الخاصة لدى جميع الكوردستانيين بمختلف انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية". (٢٠١٧/٩/١٠ عصمت رجب)
- "وها هو اليوم الذي تترجم فيه تلك النضالات إلى واقع، ليتحقق الحق بعزم رئاسة إقليم كوردستان وحكومتها وأحزابها وأبناء شعبها بمختلف انتماءاتهم الفكرية والقومية والدينية والمذهبية". (٢٠١٧/٩/١٠ لوي فرنسيس)
- تسابقوا بمختلف أديانهم ومذاهبهم وقومياتهم وأحزابهم وعشائهم وشخصياتهم إلى تأييد الاستفتاء". (٢٠١٧/٩/١٧ عصمت رجب)

□ ثانياً: "شعب كردستان" بين مركز المفهوم وأطرافه:

يبتعد الخطاب إذن عن الدلالة القومية العرقية للشعب مُكرِّساً دلالة الانتماء المكاني؛ بما يضمه المكان من تنوع في الاتجاهات. وفي هذا إشكالية سياسية ولغوية جوهرية يواجهها الخطاب في محاولته إرضاء عدة أطراف متباينة لكسب أصواتها، إشكالية تتضح عند الدراسة المتأنية لمفهوم الشعب في الخطاب.

وفقاً لمبدأ النمط الرئيس prototype المعروف في علم الدلالة الإدراكي فإن لكل فكرة أو مفهوم تمثيلاً ذهنياً مجرداً نسبياً يجمع السمات الأساسية أو البارزة التي تمثل أفضل حالة له^(٧)، أو ما يمكن عدّه عنصراً نموذجياً مثالياً/طرازاً يكون أكثر تمثيلاً من غيره للمفهوم في الذهن، وبناءً على هذا يتعرف الذهن على ما إذا كان شيء ما ينتمي إلى فئة أو مفهوم معين أم لا، وإلى أي مدى يقترب من مركزه أو أطرافه من خلال مقدار تشابهه مع النموذج المثالي له، فتحديد عضوية الفئة يتسم بالتدرج. والمبدأ الجامع لعناصر الفئة هو مبدأ التشابه العائلي، فقد يوجد عنصران لا يتشابهان كثيراً فيما بينهما، لكن كلاً منهما يحقق درجة متماثلة من التشابه مع النمط الرئيس. مثلاً مفهوم الطائر يُمَيِّز من خلال صفات أنه: يمتلك ريشاً - يطير - لديه جناحان - يبيض - يبني عشاً - يغرد...، هكذا قد تكون النعامة مثلاً عضواً ذا جودة تمثيل ضعيفة -Of-Goodness Exemplar ودرجة انتساب صغيرة degree of membership في فئة الطيور^(٨).

تلك السمات المثالية للنمط الرئيس هي التي تجعل الذهن يتعرف على فكرة أو مفهوم ما تحت لفظ معين، على الرغم من أن تلك السمات قد لا تسري في جميع الحالات التي يتحقق فيها المفهوم في العالم التجريبي، كما قد تسري في حالات ولا يطلق فيها اللفظ نفسه عليها؛ فهي مجرد سمات مثالية ترتبط بالإطار أو المجال المثالي الذي يغلب فيه نشاط المفهوم في الذهن، أو - بمصطلح أشمل - ما سماه جورج لاکوف George Lakoff النموذج الإدراكي المثالي^(٩) (Idealized Cognitive Model (ICM)، ولفهم مختلف أوجه المفهوم يحتاج المرء إلى استدعاء معرفته الموسوعية عن المجالات المختلفة التي يظهر إزاءها^(١٠).

بدراسة مفهوم لفظ "الشعب" في الاستعمال السياسي المعاصر، يمكن الخروج من المعجمات بعدد من التعريفات المتقاربة.

يعرفه المعجم الوسيط بأنه "الجماعة الكبيرة ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة. و - الجماعة من الناس تخضع لنظام اجتماعي واحد. و - الجماعة تتكلم لساناً واحداً"^(١١).

كذلك يعرفه معجم اللغة العربية المعاصرة بأنه "جماعة كبيرة تسكن أراضي محددة وتخضع لنظام اجتماعي واحد وتجمعها عادات وتقاليد وتتكلم لساناً واحداً" و"جماعة كبيرة ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة"^(١٢).

أما المعجمات والموسوعات المتخصصة فتزيد في التفصيل والأمثلة، من ضمن التعريفات الواردة في موسوعة السياسة لعبد الوهاب الكيالي: "مجموعة أفراد يقطنون في مكان واحد وتربطهم روابط معينة، كالأصول الواحدة، والعادات والتقاليد والمؤسسات المشتركة..."، و"مجموعة أفراد لا يقطنون في بلد واحد، ولكنهم يشعرون أنهم من خلال أصلهم الواحد، أو ديانتهم، أو أي رابط آخر، يشكلون شعباً واحداً (كالشعب الفلسطيني مثلاً)." و"مجموعة أفراد يؤلف مجموعها أمة تقع ضمن حدود جغرافية محددة وتشملها قوانين عامة ومؤسسات سياسية محددة"^(١٣).

و"الشعب" في معجم المصطلحات السياسية والدولية لأحمد زكي بدوي هو: "مجموعة من الأفراد تتميز عن باقي المجتمع بميزة أو أكثر مشتركة بينهم كالإقامة في منطقة معينة أو الجنس أو اللغة أو العقيدة إلخ..."^(١٤).

أما المعجم السياسي لوضاح زيتون فيذكر أن الشعب في المفهوم الاجتماعي: "هو مجموع الأفراد الذين يقيمون على أرض الدولة وينتسبون إليها عن طريق التمتع بجنسيتها..." "أما الشعب في المفهوم السياسي باعتباره أساس ومصدر مزاولة السلطة السياسية، فيعني الأشخاص الذين يتمتعون بالحقوق السياسية، وهم جمهور الناخبين" ... ويضيف "وكذلك لا يشترط في الشعب أن يكون منحدرًا من صلب جنس بشري واحد أو سلالة واحدة، لأنه فضلاً عن عدم وضوح فكرة القوميات في التاريخ القديم والوسيط كأساس لتكوين الشعوب، فقد أدت عوامل الهجرة المستمرة إلى زيادة أسباب الامتزاج والانصهار بين الأجناس والسلالات البشرية المختلفة، بحيث لم يعد ممكناً القول بوجود جنس بشري نقي"^(١٥).

يُعرّف قاموس ميريام ويبستر الكلمة الإنجليزية المقابلة *people, peoples* بأنها "مجموعة من الأشخاص توحدتهم ثقافة أو تقاليد مشتركة، أو شعور بالقرابة، ويكون لديهم في العادة لغة مشتركة، ومؤسسات مشتركة، ومعتقدات مشتركة، وهم يشكلون غالباً جماعة منظمة سياسياً"^(١٦).

من هذه التعريفات يمكن استنتاج السمات الأساسية المتكررة التي تشكل النمط الرئيس لمفهوم "الشعب":

أولاً: وحدة الأصل الجنسي؛ أي الرابط القومي العرقي، وقد أشارت إليه جميع التعريفات السابقة، بما في ذلك الإشارة بالسلب؛ أي تلك التي تنبه على عدم اشتراط وجوده في الشعب، فهي تدل ضمناً على أن الأصل في إدراك مفهوم الشعب في أذهان عموم الناس هو تحققه، مما يستدعي نفي هذا الربط المطلق.

ثانيًا: وحدة مكان الإقامة؛ أي الرابط المكاني، وأشارت إليه تعريفات المعجمات العربية السابقة – بما في ذلك أيضًا الإشارة بالسلب –، باستثناء تعريف المعجم الوسيط وإن كان من الممكن أن يفهم ضمناً كذلك من تعبير "أوسع من القبيلة"، باعتبار أن لكل قبيلة حيزها المكاني. أما تعريف قاموس ميريام ويبستر فلم يُشير إلى العامل المكاني على الإطلاق.

ثالثًا: وحدة المؤسسات والقوانين، أي الرابط النظامي الرسمي، وأشارت إليه جميع التعريفات السابقة عدا تعريف معجم المصطلحات السياسية والدولية.

رابعًا: الرابط اللغوي، ولم يذكره أي من موسوعة السياسة والمعجم السياسي؛ ربما باعتبار العامل الواقعي الرسمي للدول متعددة اللغات. ذكره كلٌّ من معجم المصطلحات السياسية والدولية وقاموس ميريام ويبستر بوصفه سمة متواترة الحضور، أما المعجم اللغويان فعلى العكس من ذلك قد ذكراه بوصفه من جوهر التعريف (بمستوى مسند قائم بذاته في الجملة التعريفية).

خامسًا: الرابط الثقافي، وقد أشارت إليه أو إلى بعض من عناصره المنشعبة التعريفات السابقة باستثناء تعريف المعجم السياسي، وتعريف المعجم الوسيط الذي اكتفى بالإشارة إلى عنصر اللغة وحده.

بالعودة إلى توجيه الخطاب الكردي – الناطق بالعربية – للفظ الشعب يظهر انحرافه عن المركز الذي يحقق عناصر المفهوم النموذجي المتكامل وبخاصة العناصر ذات الأولوية، واتجاهه نحو الأطراف؛ فالخطاب – كما سبق – **يغفل السمة الأكثر بروزًا في تعريف المعجمات للشعب وهي السمة العرقية**، بل يعارضها صراحة. كذلك **يغفل عامدًا رابط الوحدة اللغوية**؛ بالنظر إلى كون الخطاب موضع الدراسة بالأساس قد أنشئ باللغة العربية ووجّه إلى الناطقين بها.

في المقابل يُبرز **الخطابُ العنصرَ المكاني**، وهنا تكمن مشكلة أخرى تتعلق بتعيين الشعب المقصود، فالمكان المحدد للربط بين الجماعة البشرية التي يحيل إليها الخطاب يستخدم له لفظ ملتبس بحد ذاته في دلالاته التاريخية والجغرافية والسياسية، هو "كردستان"، وهو التباس يظهر حتى في نماذج هذه الدراسة نفسها؛ بين "كردستان تاريخية" و"كردستان كبرى" و"كردستان جنوبية"... إلخ.

خير مثال على ذلك المقتبس المطول التالي:

- "تشير وثائق تاريخية بأن أرض كوردستان تحتلها اليوم أكثر من خمس دول لأجزائها، وباختصار شديد، أسفًا فقدت الكثير من أراضيها وصهر الكثير من أبنائها بسبب **الهجمات القبلية عليها** إلى ما قبل القرن العشرين على خلفية التخلف والقحط والمجاعة التي كانت سائدة في العالم وكذلك الأمراض والأوبئة والنحرات بين الأديان والقوميات، جميعها جرت تصفيتها في هذه المنطقة، وما تبقى من أرض كوردستان الكبرى التي كانت تبدأ من مضيق هرمز إلى كرماشان وسنة وأورمي وأذربايجان وأرمينيا وإلى قارس وسيواس وإلى إسكندرونة على البحر الأبيض شمالي لبنان وسوريا وهناك أكثر من جبل باسم الكورد، وإلى ديريك (حسكة) وقامشلي وتل كوجر (اليعربية) وإلى

الموصل ومنها إلى الكوفة والحلة وإلى البصرة. وردت أكثريتها فيما كتب عنها المستشرق. جي. آر. درايفر - في كتيبه "الكورد في المصادر القديمة" ترجمة فؤاد حمه رشيد - ولم يبق منها على وجه التحديد من كوردستان الكبرى إلا الأجزاء الأربعة التي شطرتها معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦ المشؤومة وأوقعتها تحت احتلال أربع دول غارقة في التعنصر وعدم الاعتراف بالآخر. ونال الكورد من تلك الدول الظلم والاضطهاد ووصل التطهير العرقي والأرض المحروقة وصهره في بوتقة قومياتها، وعند المطالبة بالحقوق القومية المشروعة حتى وإن داخل تلك الدولة فالإتهام بالخيانة والعمالة لإسرائيل وأمريكا أبسط تهمة لديهم وهم دومًا لديهم علاقات دبلوماسية واتصالات علنية وسرية مع كليهما.

لو كان هناك في الدول الأربع التي تحت حكمها الأجزاء الأربع من كوردستان العدل والمساواة واحترام الآخر والتعامل مع الجميع بمقتضى الشرائع السماوية والنهج الإنساني في الحقوق والواجبات لما شعر الكورد بالاحتلال بكل ما فيه من الاستبداد والاستعباد، يحتم على كل إنسان حر من أية قومية كان أن يناضل لأجل عزته وكرامته وعدم الرضوخ لسلطات تتحكم بعقول حكامها العنصرية القومية والطائفية.

ومنذ مئة عام يطالب الكورد في كوردستان الجنوبية موضوع المقالة بالحقوق القومية لكوردستان والديمقراطية للعراق دون جدوى". (٢٠١٧/٩/١١ لطيف دلو)

فهذا المقتبس يميل بوضوح إلى التوسع فيما يعده ضمن منطقة "كردستان"؛ بما يُشخّن به من أسماء لأماكن مترامية الأطراف في منطقتي الشرق الأوسط والقوقاز، ومختلف صيغ التعبير عن تعدد الملكية كما في إضافة الجمع "لأجزائها" و"أراضيها"، وصيغة الجزء - الكل في "كردستان الجنوبية" و"كردستان الكبرى"، التي توجه ذهن المتلقي مباشرة إلى استدعاء أجزاء الجهات الأخرى من كردستان (شمالية أو شرقية أو غربية، أو وسطى وصغرى)، والتناقض البادي بين بداية المقتبس التي تشير إلى توزع كردستان بين "أكثر من خمس دول" والعبارات التالية التي تتحدث عن "أربع دول" فقط. وهذا كله إلى جانب الاستعمال المتكرر للفظ "احتلال" الذي يتضمن دلالة اغتصاب الحق، وما يستتبعه من تعبيرات العذابات والتضحيات وحق المقاومة.

وإن كان المُرسِل هنا يصرح بأن "كردستان الجنوبية" هي موضوع مقاله، فما من محدّد يقطع بأن سكانها وحدهم هم الذين يحتويهم تعبير "الشعب الكردستاني"، أو أن الدولة الكردستانية المزمع إنشاؤها تقتصر عليهم.

وفي سعي بعض المرسلين إلى دفع هذا الالتباس عن الحدود المنشود إنشاؤها بناء على الاستفتاء، فإنه يورد دفعًا ظاهرًا لا أكثر، كنوع من تفسير الماء بالماء:

- "الاستفتاء أيضًا لن يحدد الحدود. الحدود تحدد بالتفاهم.. بالحوار، وبحسب رغبة أهل.. سكان المنطقة... هكذا تحدد الحدود". (بارازاني ٢٠١٧/٩/١٦)

في حين أن بارازاني نفسه حين يعود للحديث عن تفاصيل الحدود بيدي نبرة صارمة تزدهم بعبارات الرفض، والتحذير من العواقب، إلى جانب الربط ما بين موقف الطرف الآخر – كما ينقله – وإجراءات نظام صدام حسين والاحتلال الأمريكي من بعده؛ ممثلاً في بول بريمر الحاكم الأمريكي المدني للعراق، ربطاً يكرس التمثيل السلبي ودافع الرفض، يقول:

- "يريدون منا أن نرجع إلى حدود الخط الأخضر كما سماه بريمر. هل تعلمون ما هو الخط الأخضر؟ هو خط التماس بين البيشمركة وبين الجيش العراقي في العهد البعثي... عهد صدام. يعني العودة إلى "أعلوكة" و"هاونوت"... مدافع الهاون ممكن – حتى إذا كان من سبيل الترفيه – متى ما شاءوا يهدون أهل الدهوك... مدينة الدهوك بكم قنبلة هاون، بدون أي عناء، وبدون أي... هذه ليست حدود كردستان، ولنرفض أن ترسم حدود كردستان وفق الخط الأخضر كما سماه بريمر... هذا خط التماس". (بارازاني ٢٠١٧/٩/١٦)

فالرفض القاطع في هذا المقتبس يصادر على المعاني الفضفاضة لكلمات "الحوار" و"التفاهم" و"الرغبة" في سابقه.
ومثل ذلك:

- "الاستفتاء ليس ضد أي طرف ولا أي دولة ولا يطمح الى ضم أجزاء غير كوردستانية ولا أي منطقة لا يرغب سكانها الانضمام الطوعي لكوردستان". (٢٠١٧/٩/١٤ سربست بامرني)

إذ تتخذ الجملة السابقة محدداً دلاليًا هو بذاته غير محدد؛ فكي يُعرَفَ ما هو غير كردستاني، لا بد من أن يُعرَفَ أولاً ما هو كردستاني، ما يؤدي بالخطاب إلى محض مراوغة لفظية.

غير أن أكثر الكُتَّاب لا يلقي بالأكثر كبيراً لدفع الالتباس من الأساس، ويصر على الربط بين "كردستان العراق" أو "كردستان الجنوبية" وغيرها من المناطق ذات الأغلبية الكردية في الدول الأخرى، أو مناطق النزاع بين الإقليم والدولة المركزية في العراق:

- "صدق البارزاني الخالد الذي قال: كركوك قلب كوردستان، لأن القلب هو الذي يزود الجسم بالدماء". (٢٠١٧/٩/١٤ جان كورد)

- "واليوم بعد عودتهم إلى مناطقهم عادت معهم رائحة السلام والتآخي والتعايش، وبانت أكثر عندما تسابقوا بمختلف أديانهم ومذاهبهم وقومياتهم وأحزابهم وعشائهم وشخصياتهم إلى تأييد الاستفتاء من أجل استقلال كوردستان بعيدين عن ظلم وتهميش بغداد، كما علمهم باليقين بأن مناطقهم هي امتداد جغرافي للإقليم". (٢٠١٧/٩/١٧ عصمت رجب، عن سكان مناطق سهل نينوى)

- "والتاريخ الكردي يزخر بالثورات والمناضلين والحركات الثورية التي انتشرت في كل أرجاء تراب كوردستان وفي أجزائها الأربعة، ودفع فيها الشعب الكردي أجيالاً من

التضحيات في سبيل نيل الحقوق والعيش بكرامة وإزالة هذا التقسيم والاحتلال لأراضيه". (٢٠١٧/٩/١٨ ديار حاجي)

- "وبالرغم من تأرجح الفكر القومي الكوردي بين الليبرالية والماركسية والاشتراكية، دون أن تظهر ملامحه الواضحة، إلا أن النموذج الكوردي النضالي في كردستان العراق وصل إلى أعلى درجات النجاح بعد سيل من التضحيات التي قدمها في هذا السبيل مؤكدةً أنها جزء من نضال الشعب الكوردي المترابط بين جميع الأجزاء". (٢٠١٧/٩/١٨ ديار حاجي)

فمرة أخرى يرد التعبير عن علاقات الترابط والامتداد والجزء - الكل، بالتصريح المباشر أو عن طريق الاستعارة، وهي هنا استعارة الجسد الواحد وترابط أعضائه.

ولا يقتصر اللبس الخطابي حول تحديد المكان على ما هو لفظي فقط، بل يمتد إلى بعض العلامات المرئية المصاحبة للخطاب. فالخارطة الرمزية التي ترفقها جريدة التآخي مزينة بعلم إقليم كردستان العراق ببعض مقالاتها التي تتناول استفتاء الانفصال، لا تقتصر على الجزء العراقي من كردستان وحده، بل تأخذ شكل الأجزاء الأربعة مجتمعة.

والمعرق في المفارقة أنه في صفحة واحدة من عدد واحد من الجريدة هو عدد ٢٠١٧/٩/١١، ورد مقالان أُرْفِقَ بكلٍ منهما خريطة رمزية لكردستان، تختلف في شكل أطرافها - أي في رسم حدودها - عن الأخرى، كما في الشكل الآتي:



يُعلي الخطاب أيضًا من شأن الرابط النظامي المؤسسي، وهو بدوره رابط غير تام؛ لأن إقليم كردستان العراق وإن كان مستقلاً إدارياً، فهو يبقى إلى لحظة إنتاج الخطاب جزءاً من الدولة العراقية ودستورها وقوانينها، وبناء عليه فإن سكان الإقليم ينتمون رسمياً ودولياً إلى الشعب العراقي. ومع إغفال السمة العرقية، فإن إبراز السمة الرسمية الانفصالية ينحرف أحياناً بالخطاب عن مقصد الدفاع عن الحقوق القومية لشعب مستقل، ويختزله في صورة خلاف سياسي محض حول ممارسة السلطة واحتكار الثروات بين مركز وهامش داخل بلد واحد، خاصة مع استمرار نقد الممارسات السياسية للنظام العراقي وربطها باستفتاء الانفصال بوصفه رد فعل لها:

- "طالما فشلنا في بناء شراكة حقيقية لكي نبني صيغة الجيرة الحسنة". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)
- "حاول بارزاني بعد عدة زيارات إلى بغداد حل الأمور العالقة بين أربيل وبغداد (كالطاقة والميزانية ورواتب الموظفين ... إلخ)، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وهذا سبب قول بارزاني في زيارته الأخيرة لبغداد: إذا لم نتوصل إلى حل مع بغداد فالاستفتاء هو الحل". (٢٠١٧/٩/١٠ كجال درويش)
- "ومهما كان حجمنا في مجلس النواب القادم فلا يمكن أن نقف ضد أي مشروع، وهذا ما يحصل الآن حيث يتم تمرير المشاريع من دون الحيلولة لتفاديها أو رفضها سوى الخروج من قبة البرلمان. وهنا لا بدّ أن نتساءل ما هي المنجزات التي حققها إخواننا النواب الكورد خلال عمر البرلمان العراقي؟ حتى إنهم لم يوحدوا صفوفهم بل أصبح البعض أداة أو وسيلة لتمرير أهداف ومشاريع الجهات الأخرى". (٢٠١٧/٩/١١ ماجد الدباغ)
- "لو كان هناك في الدول الأربع التي تحت حكمها الأجزاء الأربع من كردستان العدل والمساواة واحترام الآخر والتعامل مع الجميع بمقتضى الشرائع السماوية والنهج الإنساني في الحقوق والواجبات لما شعر الكورد بالاحتلال بكل ما فيه من الاستبداد والاستعباد، يحتم على كل إنسان حر من أية قومية كان أن يناضل لأجل عزته وكرامته وعدم الرضوخ لسلطات تتحكم بعقول حكامها العنصرية القومية والطائفية.
- ومنذ مئة عام يطالب الكورد في كردستان الجنوبية موضوع المقالة بالحقوق القومية لكوردستان والديمقراطية للعراق دون جدوى، وسالت أنهار من الدماء على أرض هذه الدولة لأن الحكومات لم تتخل عن مسيرتها ونثرت الرماد في عيون القوميات بتدوين كل هذه المطالب في الدستور والقوانين كواجهة إعلامية سياسية لها ووضعها على الطاولة حبراً على الورق منه دون تنفيذها، وأخيراً وصل الكورد إلى قناعة تامة بأن الشراكة بهذه الشاكلة لم ولن تخلف السلام والأمان في هذه الدولة وتسبب هدر دماء الأبرياء من كلا الطرفين، وأموال هدرت في الاقتتال الدائر منذ مئة عام لو استغلت للتعمير والتطوير كانت تكفي لكسوة العراق من ذهب، لذلك قرر شعب كردستان الاستفتاء في ٢٥ أيلول ٢٠١٧ تمهيداً للاستقلال وتأسيس دولة كردستان المعتدلة المتأخية بهوية وطنية بعيدة كل البعد عن القومية والطائفية والتطرف والانحياز". (٢٠١٧/٩/١١ لطيف دلو)
- "استقلال كردستان يعني، قبل كل الجوانب الأخرى الهامة للموضوع، تحرير اقتصاد الشعب الكردي من قبضة النظم والدول التي اغتصبت ممتلكاته ونهبت بترول وغاز وثروات كردستان، وفرضت على هذا الشعب شتى أنواع الضرائب، من دون القيام بأي مشاريع نافعة له في وطنه. في حين أن هذه النظم استمرت على الدوام في سياسات الصهر والتمييز والتهمير والتقتيل وإنكار الوجود القومي للأمة الكوردية

عبر التاريخ الحديث للمنطقة، منذ معاهدة سايكس - بيكو الاستعمارية في عام ١٩١٦. أي إن استقلال كردستان يفصل بالتأكيد بين مرحلتين اقتصاديتين وليس فقط بين مرحلتين سياسيتين". (٢٠١٧/٩/١٤ جان كورد)

فمجموعة المقترحات السابقة لا تعبر بالأساس عن حقوق الكرد المادية والمعنوية في وطن لهم، لكنها تربط الدعوة إلى الانفصال بفشل سياسات الحكومات العراقية، وهو معنى تحققه عدة وسائل أبرزها: الشرط في: "إذا لم نتوصل... - "لو كان هناك... - "لو استغلت..."، وكذلك معنى التقييد في الاستعمال المعاصر الشائع لكلمة "طالما"، ومجموعة الألفاظ والروابط المعبرة عن علاقة السبب والنتيجة مثل: الفاء - "ذلك" - "وهنا" - "وأخيراً" - "وهذا سبب"، وكذلك مجموعة التعبيرات الدالة على الصبر والمحاولات طويلة الأمد: "باعت بالفشل" - "استمرت على الدوام" - و"خلال عمر البرلمان العراقي" في الاستفهام الإنكاري الموحى بالعجز.

وشبيه بذلك أيضاً اتباع الخطاب ما يعرف بالحجة الشخصية أو المغالطة القائمة على مبدأ "أنت أيضاً تفعل ذلك"^(١٧)، في محاولة قلب الطاولة على السياسيين العراقيين، كما في:

- والآن يتحدثون عن الدستور.. يتشدقون بالدستور. الآن يتذكرون الدستور. الدستور صيغ في سنة.. في ٢٠٠٥، لكن عندما يتهمونا بأننا نخالف الدستور في موضوع الاستفتاء... السؤال أيضاً: بأي مادة دستورية قطعتم أرزاق شعب كردستان". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "هنا نتساءل أين الالتزام بالدستور؟ الذي "تتمشدقون" به وتعيبون على الآخرين بعدم الالتزام به؟ أم حلال عليكم وحرام على غيركم؟ ألسنا مواطنين عراقيين كبعضنا؟ أم تحسبوننا مواطنين من الدرجة الثانية". (٢٠١٧/٩/١١ حسن سنجاري)

فالبحث عن تبرير للانفصال في أخطاء السياسيين العراقيين يُبعد الخطاب فعلياً عن دافع الحق القومي لشعبه؛ الذي يفترض وجوده سواء خالف العراقيون الدستور أم لم يخالفوه.

كذلك أسهمت محاولات كسب تعاطف العراقيين العرب أنفسهم أو حفظ الوجه أمام الشعوب الأخرى بالفصل بين أفراد الشعب العراقي وسلوك حكامه في اختزال دوافع الانفصال في شكل خلاف سياسي؛ حيث كرست انحصار الخلاف في ممارسات بعينها، بل أحياناً في بعض أشخاص دون غيرهم:

- "إذا كان هناك خلاف بين السياسيين.. بين حكومة الإقليم حالياً وحكومة بغداد هذا لا يجوز أن ينعكس على الشعوب.. على القوميات.. على الأديان.. على المذاهب". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "ما أن أصدرت القيادة الحكيمة لإقليم كردستان قرار إجراء الاستفتاء في السابع من حزيران ٢٠١٧ حتى تفشت بعض الأمراض العقيمة في المجتمع العراقي وأخص بالذكر السياسيين منهم وسادت تصريحاتهم الإعلامية التي تنم عن غيظهم حيال إقليم كردستان؛ حيث انبعثت منها رائحة الحقد والكرهية اللامسؤولة، متكررين لما ورد في

ديباجة الدستور العراقي الذي صوتت عليه غالبية الشعب العراقي (لِنَصْنَعِ عِرَاقًا جَدِيدًا، عِرَاقَ الْمُسْتَقْبَلِ، مِنْ دُونِ نَعْرَةِ طَائِفِيَّةٍ، وَلَا نَزْعَةَ عُنْصُرِيَّةٍ، وَلَا عُقْدَةَ مَنَاطِقِيَّةٍ، وَلَا تَمْيِيزَ، وَلَا إِفْصَاءً)". (٢٠١٧/٩/١١ حسن سنجاري)

- "ومع ذلك فمن المفيد والضروري تذكير أبناء الشعب العراقي الكريم، الذي ابتلى بمثل نظام كهذا فاشل وسياسيين فاسدين حتى النخاع وسيطرة قوى إقليمية تتحكم بمصيرهم ومستقبلهم، بحقيقة الاستفتاء". (٢٠١٧/٩/١٤ سربست بامرني)

وهو ما حاول بارزاني العودة عنه في موضع آخر بقوله:

- "العلاقة بيني وبين الأخ العبادي دولة رئيس الوزراء علاقة جيدة، لكن لا يجوز حصر العلاقة بين شعب كردستان وبغداد.. بين الإقليم وبغداد بعلاقة شخصين، ربما أحدنا يموت غدًا أو كلانا نموت غدًا.. من يدري.. يعني لا يجوز حصر العلاقة.. مصير شعوب بشخصين، وإلا ليست لدي أي مشكلة مع الأخ العبادي". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "من يعتقد أنه لأن عندكم وزراء.. عندكم رئيس جمهورية.. إذا رئيس الجمهورية استطاع أن يعين شرطي واحد أنا أقول ذلك... يا صلاحيات يا مكاسب.. بعدين حقوق الشعوب ليست بتعيين وزير أو وزيرين أو مجموعة وزراء.. هي مسألة حقوق.. منظومة متكاملة". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

أيضًا يشير الخطاب إلى بعض عناصر مختارة من عناصر الرابط الثقافي، وفقًا لما يحقق مقاصده؛ فيركز على التعددية والتعايش السلمي وقبول الآخر بوصفها من القيم الموروثة للشعب الكردستاني، ويحذر من عواقب التفريط فيها. يقول بارزاني:

- "وإنها لسعادة كبيرة أن ألتقي بهذا الجمع المبارك والذي يتألف من كل المكونات القومية والدينية والمذهبية، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الثقافة التي تربينا عليها هي ثقافة التعايش، المحبة، قبول الآخر الحرية المطلقة لكل فرد أن يمارس طقوسه الدينية حسب معتقداته. وأعتقد أن هذه إحدى المنجزات الكبيرة التي ورثناها تاريخيًا من أجدادنا، علينا أن نحافظ على هذه الثقافة وعلى هذه العقلية التي تحمي البلد وتحمي الشعب.

في كل مكان عندما يعتقد شخص أو طائفة أو دين معين أو مذهب معين أنه هو الصائب فقط... أنه وحده هو على صواب ويكفر الآخرين ويرفض الآخرين يعني عدم استقرار البلد.. يعني انعدام التعايش والتسامح ويعني أن البلد سيواجه المصائب والكوارث كما لاحظنا في كثير من المناطق؛ لذلك من أولى الأولويات أن نحافظ على هذا التراث.. أن نحافظ على هذه الثقافة.. وأن نعتز ببعضنا ببعض". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "منطقة سهل نينوى تجسد روح التآخي والتعايش والتعددية القومية والدينية والمذهبية". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

وينطلق الخطاب من هذه القيم إلى تدشين التمثيل السلبي للآخر، فمن المؤلف في خطاب الهويات – والأقليات – أنها تعبر عن ذاتها من خلال اختلافها عن الآخر. ولعله من نافلة القول أن كل جماعة تسعى في خطابها إلى وسم نفسها بما هو إيجابي في مقابل نعت الآخر – المعارض أيًا كان – بما هو سلبي، فالشماثل والخصائص التي تُقدَّرُها جماعة انتماء المُرسِل وتوليها قيمة، تناقض تلك التي تنسم بها الجماعة المقابلة^(١٨)؛ ومن ثم فإن كثيرًا من عناصر الوصف الذاتي للجماعة الكردية يرد في الخطاب مصحوبًا بنقيضه في وصف الآخر (الجماعة العراقية).

ولذا تُعرض قيم التعددية وقبول الاختلاف التي يتمسك بها الخطاب الكردي في مقابل الطائفية والتمييز اللذين يوصف بهما الطرف المقابل (العراقيون/العرب)، ومن ثم احتلت بنيتا المقارنة والتوازي مساحات كبيرة من الخطاب الكردي، من أمثلتها:

- "نعم إنه عرس وطني لمن يفهمه، فالشعب الكوردستاني سوف يقول كلمة نعم أريد الحرية... ويقول نعم أريد الاستقلال.... نعم أنا سوف أقرر كيف أعيش... نعم للتعددية والتعايش والتآخي بين جماهير كوردستان... نعم لدولة مؤسسات... ويقول لا للعبودية والتبعية... لا للتحكم والسيطرة والتسلط على مصيري... لا للانفلات... لا للتهجير... لا للإرهاب بكل أشكاله... لا للحصارات... لا للتهميش والإلغاء... لا لقطع الأرزاق والرواتب... ويقول بكلمة نعم للاستقلال ألف لا للظلم الذي عاشه ضمن العراق الواحد الموحد". (٢٠١٧/٩/١٠ لوي فرنسيس)

- "أوقعتها تحت احتلال أربع دول غارقة في التعنصر وعدم الاعتراف بالآخر. ونال الكورد من تلك الدول الظلم والاضطهاد ووصل التطهير العرقي والأرض المحروقة وصهره في بوتقة قومياتها"- "وتأسيس دولة كوردستان المعتدلة المتأخية بهوية وطنية بعيدة كل البعد عن القومية والطائفية والتطرف والانحياز". (٢٠١٧/٩/١١ لطيف دلو)

- "يوم الاستفتاء ليس يوم الدينونة والقيامة كما يزعم العنصريون والطائفون ولن يكون للتهديد والوعيد وقرع طبول الحرب، سواء في الداخل العراقي او من وراء الحدود، أي أثر على إرادة وعزم وتصميم شعب كوردستان المحب للحرية والسلام والصدقة الحقّة". (٢٠١٧/٩/١٤ سربست بامرني)

- "فالساسة الناجحة والإدارة الحكيمة قد أنجبتنا الأمن والسلام في كوردستان وقدمتا العلاقة الطيبة بين كوردستان والدول العالمية ليساهموا في التطور الاقتصادي في كوردستان بعكس العراق الذي نعمة حالة من الفوضى والشغب خصوصًا بعد ٢٠٠٣ والمنازعات الطائفية والتفرد في القرارات وسيادة مصالح شخصية أو مصالح ذات جهة محددة على القانون والشعب". (٢٠١٧/٩/١٨ مؤيد كوران)

- "واليوم وبعد أكثر من قرن ونصف من النضال المستمر بكل أشكاله، يقف الشعب الكردي أمام إحدى المفارق المفصلية في تاريخه، واقتربه من بلوغ هدفه الأسمى في إنشاء الدولة والكيان الكردي الذي طالما سعى إليه، ولربما أن الكثير من دول العالم

باتت تقف متسائلة عن هوية هذه الدولة الجديدة وقد يرتابها القلق منها إلا إن كردستان رسمت رسالتها للعالم بأيدي من دافع عن ترابها من أبنائها، وبأن الكورد بالرغم من كل الولايات التي لقوها من أعدائهم سيثبتون للعالم أنهم دعاة سلام ومحبة وإنسانية، ولن تكون كردستان دولة صهر القوميات وإرادة الشعوب كما فعلتها إيران، التي صهرت جميع أطرافها ومكوناتها القومية من الأذريين والبلوش والكورد والعرب في بوتقة الولاء الديني المتشدد، وتجميعهم حول فكرة ولاية الفقيه، ولن تكرر النموذج الاتاتوري في بناء الدولة الذي بنى أعمدها بالنار والبارود مع نشوئها الجديد وما ارتكبه من مجازر بحق الكورد والأرمن، واحتلاله أراضي ليست له، كلواء إسكندرون ومدينتي إزمير وإسطنبول اللتين لا تزالان إلى اليوم يونانيتي الطابع، ولن تكون كسلطة البعث التي حرقت سوريا والعراق ومعهم الكورد لعقود من الزمن وزرعت الفتنة والكراهية التي لا تزال نارها مستعرة عند الكثيرين". (٢٠١٧/٩/١٨) ديار حاجي

اللافت في هذا الموضوع هو تقديم كثير من نماذج الخطاب الكردي مبدأ القومية بحد ذاته بوصفه قيمة سلبية ترتبط بالطائفية والتمييز؛ إما بالتصل منه وإنكاره:

- "ونعدكم إذا اخترتم أن تكونوا مع دولة كردستان إن شاء الله، ستكون دولة مساواة.. دولة مواطنة، وليست دولة قومية كردية". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)
- "دولة كردستانية ليست دولة قومية". (٢٠١٧/٩/١٧ عبد الباسط سيديا)
- "فالدولة التي يتحدث عنها بارزاني لن تكون دولة قومية تشمل الكورد كلهم؛ لأن معالجة قضايا كورد الأجزاء الأخرى ستكون مع دولهم انطلاقاً من خصوصية أوضاعهم. ولن تكون الدولة المنشودة مقتصرة على الكورد وحدهم، بل ستشمل العرب والتركمان والكلدان والسريان والآشوريين، وستضم المسلمين من سنة وشيعة، ومسيحيين وإيزيديين وصابئة وغيرهم.

ودولة كهذه ستكون أنموذجاً للمنطقة كلها في ميدان التعايش والتسامح والتنوع والحكم المدني الذي يفصل بين الدين والسياسة، مع احترام عقائد الجميع". (٢٠١٧/٩/١٧) عبد الباسط سيديا

أو بنسبة فاعلية أفعال سلبية والمسئولية عنها إليها تصريحاً؛ بالتعبير المباشر عن علاقة السبب والنتيجة، أو بالإسناد المباشر:

- "... يدرك أن المجازر الكبرى التي تعرض لها هذا الشعب، كانت نتيجة المشاريع القومية الأيديولوجية التي أنهكت الكورد والعراقيين والمنطقة عموماً، وجعلت العراق ساحة مفتوحة أمام المشروع المذهبي - القومي الإيراني". (٢٠١٧/٩/١٧) عبد الباسط سيديا

أو بالتعبير المجازي عن تلك المسؤولية، كما في استعارة "بوتقة قومياتها" التي تنسب إلى القومية فعل الإحراق والصهر ومحو الهويات:

- "ونال الكورد من تلك الدول الظلم والاضطهاد ووصل التطهير العرقي والأرض المحروقة وصهره في بوتقة قومياتها". (٢٠١٧/٩/١١ لطيف دلو)
- "لتقام عليها العزة والكرامة لكل الهويات القومية والطوائف من دون صهرها في بوتقة قوميات الأنظمة العنصرية المسلطة على رقاب القوميات المغلوبة على أمرها". (٢٠١٧/٩/١١ لطيف دلو)

□ ثالثاً: العامل السياسي وبناء المشهد الخطابي الخاص:

يُعدُّ النموذج الإدراكي المثالي عند لاكوف محض طريقة ينظم بها البشر معرفتهم بالعالم وفق أسس إدراكية، وليس تعبيراً مباشراً عن حالة موضوعية فيه^(١٩). فمثلاً عند تعريف كلمة "أعزب" بـ"ذكر بالغ غير متزوج" يقترح الذهن نموذجاً إدراكياً مثالياً يحمل توقعات محددة عن الجنس والعمر والحالة الاجتماعية والعلاقة مع الجنس الآخر، وقد يرتبط بصورة نمطية معينة عن سلوك الرجال قبل الزواج، لكنه يتجاهل العديد من الجوانب الأخرى المحتملة في العالم الحقيقي لكونها غير نموذجية؛ كالحالة الدينية الخاصة لـ"بابا" الكنيسة، أو حالات الاقتران خارج إطار الزواج، أو الشذوذ الجنسي، أو الحالة التي قد يفترضها عالم قصصي كما في شخصية "طرزان"، أو حالة إباحة تعدد الزوجات للمسلم المتزوج بالفعل...، فمثل هذه الحالات لا يطلق فيها لفظ "أعزب" على الرغم من كون المحال إليه ذكراً بالغاً غير متزوج.

بالمثل فإن تعريف كلمة "أم" يفترض توقعات معينة كأن تكون أنثى، متزوجة، ومتزوجة من الأب الجيني للطفل، أنجبت الطفل، ومنحته نصف حوامل صفاته الوراثية، وهي من جيل سابق لجيله، وتقوم برعايته، والوصاية عليه. اجتماع هذه الصفات معاً يشكل الحالة النموذجية لمفهوم "الأم"، ولكن من الوارد أن ينقص الأم صفة أو أكثر من هذه الصفات، دون أن ينفي هذا كونها أمًا؛ كما في حالة الأم التي تربي طفلها بمفردها، أو كونها تحتل درجة ما في مستويات الأمومة؛ كالألم البديلة في حالات تأجير الرحم... إلخ، وهي حالات تبتعد عن النموذج الإدراكي المثالي، وتفترض نماذج إدراكية خاصة كالنموذج الوراثي ونموذج الرعاية الاجتماعية ونموذج الحالة الاجتماعية وغيرها.... وهي نماذج يسميها لاكوف "نماذج عنقودية" Cluster Models، حيث يؤثر في إدراك مفهوم الكلمة استدعاء عدة نماذج متداخلة^(٢٠).

ومن الكلمات ذات الدلالة المعنوية التي دُرست بالنظر إلى النموذج الإدراكي المثالي الخاص بها كلمة "الكذب" (أي Lie بالإنجليزية)، فنموذجها المثالي يفترض تحقق شروط ثلاثة هي: أن المحتوى القضوي للجملة غير حقيقي، وأن المتكلم يعرف أنه غير حقيقي، وأن في نية المتكلم خداع محدثه.

ولكن بعض الحالات قد تُعدُّ كذباً دون أن تتحقق فيها هذه الشروط، كما في مواقف المجاملات الاجتماعية كقولك: "يا لها من حفلة جميلة" و"يا لسعادتي برؤيتك"؛ حيث ربما تحقق هذه المواقف الشرطين الأول والثانيين لكنها لا تحقق الثالث. ومثل ذلك بعض حالات إخفاء الجزء

الأوثق صلة بالموقف من الحقيقة، كأن يسأل أحدهم الآخر إلى أين يذهب، فيجيب بأن الفلفل قد نفذ من البيت، في حين أنه في الحقيقة يخرج لشراء هدية للسائل؛ ففي هذه الحالة قد لا يتحقق الشرطان الأول والثاني، لكن الثالث متحقق^(٢١).

يقترّب مفهوم النموذج الإدراكي المثالي مما سماه فيلمور Charles Fillmore المشاهد النمطي prototypical scene لورود لفظ ما، أما الحالات الخاصة فهي مشاهد واقعية أو تجريبية غير نمطية يتغير فيها الإطار الدلالي الذي ينشط فيه اللفظ. ويرتبط إدراك المفهوم بإدراك هذا الإطار^(٢٢).

يمكن - من ثم - القول إن اختيار عنصرَي التعددية والسلمية في الخطاب الكردي من بين عناصر الرابط الثقافي للشعب يتعدى وظيفة التمثيل الإيجابي للذات في مقابل التمثيل السلبي للآخر، إلى بناء نموذج إدراكي متكامل يربط مفهوم الشعب بإطار العقد الاجتماعي الداخلي للدولة وعلاقات التعايش بين أهلها، بدلاً من الإطار الدبلوماسي الخارجي المرتبط بتمييزها بين باقي الدول وعلاقاتها الدولية؛ بما يسمح بتعيين الشعب الكردستاني بعيداً عن النمط الرئيس للشعب، ممثلاً حيزاً مكانياً يجمع مكوناته ونظام يديرها، ومتناقضاً فقط مع صورة التمييز العنصري والطائفي في الدولة التي يسعى إلى الانفصال عنها.

نقص الاهتمام بإظهار مفهوم الشعب داخل إطاره الخارجي الدبلوماسي بالنسبة إلى مشروع دولة ناشئة يبدو غريباً إلى حد ما؛ خاصة مع اعتماد الخطاب باستمرار على المبدأ الدولي في "حق تقرير المصير" للشعوب:

- "من الغريب جداً أن نرى هذه الحساسية المفرطة وهذا الإنكار الغريب... أنه لا يسمح لشعب أن يعبر بحرية عن رأيه في تقرير مصيره". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)
- "فإن إيماننا بحق تقرير المصير هو ممارسة ديمقراطية سامية وهو حق أي شعب في أن يختار شكل الحكومة أو الدولة التي يريد أن يعيش في ظلها وفي اختيار السياسة التي يريد أن يسلكها...". (٢٠١٧/٩/١٠ عصمت رجب)
- "تقوم حكومة بغداد برفض حق تقرير المصير للشعب الكوردستاني بشتى الوسائل". (٢٠١٧/٩/١١ سوزان ناميدي)

وهو ما يعيد الدائرة من جديد إلى ضرورة تحديد مفهوم الشعب الذي يسري عليه تطبيق المبدأ بالنظر إلى التوافق العالمي وموقع الشعب المقصود بين شعوب العالم، أكثر من العلاقات البيئية لمكوناته.

لا تتنبع خطورة هذا التوجه لتعيين الشعب الكردي في جنين دولة يصارع خطر الإجهاض من انحرافه عن النمط الرئيس والنموذج الإدراكي المثالي للمفهوم الذهني للشعب وحسب، ولكنها تتنبع أيضاً من كونه تحولاً خطابياً في تعيين موضوع جوهري من موضوعات التشكيلة الخطابية discourse formation للسياسة الكردية، أرسته أجيال سابقة من السياسيين الكرد في أدبياتها،

أو قبلت به في وثائق تاريخية تتمسك بها، ولا زال يعد من المسلمات التي يتوقع متلقو الخطاب – سواء من مؤيديه أو معارضييه – قبول الخطاب إياها، وأعني الأساس العرقي للشعب الكردي.

مثل هذا التحول – كما يشرحه فيركلوف Norman Fairclough في مناقشته لأراء ميشيل فوكو Michel Foucault –، يخضع لقواعد الممارسة الخطابية، فالموضوعات ليست ثابتة وموجودة بصورة مستقلة ليشار إليها داخل الخطاب وحسب، بل هي تتكون وتتحول في الخطاب وفقاً لقواعد التشكيلية خطابية التي ترد فيها، وهي تتأثر بعلاقات الكيانات المنتجة لها في الواقع الاجتماعي، وبتغير شروط الممارسة الخطابية، بمقدار ما تتأثر بوقوعها في الإطار المادي سابق التشكيل. ومن ثم فإن عملية التكوين التي يقوم بها الخطاب عملية جدلية تفاعلية، يعتمد فيها تأثير الممارسة الخطابية على طريقة تفاعلها مع الواقع الذي سبق تكوينه^(٢٣).

فالخطاب الكردي في اللحظة التاريخية لاستفتاء الانفصال يتعرض لضغط من قوتين؛ قوة الإرث الخطابي سابق التكوين الذي أرسى المفهوم العرقي للشعب الكردي، وقوة الواقع السياسي والاجتماعي؛ متمثلاً في المتغيرات السياسية العالمية التي تجاوزت عصر الثورات القومية، وفي الوضع التعددي داخل الحيز المكاني ذي الأغلبية الكردية بحد ذاته، علاوة على الأوضاع المضطربة والمتوجسة للدول المعنية بالشأن الكردي، سواء الجارة أو الصديقة.

لعل تلك الجدلية التفاعلية بين الخطاب والواقع الاجتماعي هي بالتحديد ما حال بين انخراط كثير من كُتّاب جريدة التّأخي في تكريس التعبيرات الخالية من الدلالة القومية العرقية، أو أدى بهم إلى المراوحة بين الاستعماليين – كما سبق –، أو إلى توجيه الكلام بما يصنع تآلفاً بين الاستعماليين، فيجعل القومية الكردية حاضنة للتعددية ومنطلقاً لإرساء غيرها من القوميات، كما في:

- "كلمة نعم في الاستفتاء هي تثبيت للكوردائيتي وتثبيت لكل مكون وقومية ودين ومذهب يعيش في دولة كوردستان الفدرالية". (٢٠١٧/٩/١٠ لؤي فرنسيس)

والكوردائيتي Kurdayetî كلمة كردية لا تعني فقط – وفق ما يشير إليه الباحث جعفر شيخ الإسلام – الهوية الكردية، بل الحركة الأيديولوجية القومية الكردية، أي أنها تحمل معنى التوجيه الفكري والعمل من أجل المصالح الكردية^(٢٤)، وهو معني عملي محدد الاتجاه ولا ينطوي بحد ذاته على أي جانب كلي أو شامل.

- "على كل كوردستاني مخلص لهويته أن يشارك في بناء دولة كوردستان بوضع لبنة "نعم" كحجر زاوية لها لتقام عليها العزة والكرامة لكل الهويات القومية والطوائف". (٢٠١٧/٩/١١ لطيف دلو)

والاستعارة في هذا المقتبس تتشارك معنى تثبيت القوميات الأخرى مع سابقه، فتصور الهوية الكردية لبنة بناء لكل الهويات.

بالإضافة إلى كل ذلك فإن سمة قبول الآخر بحد ذاتها تُقدّم في هيئة مشروطة ونسبية غير مطلقة حين تمس العلاقة مع الطرف المقابل؛ العراقي غالباً، والإيراني أو التركي أحياناً، ما يأخذ

شكلاً عدائياً في كثير من الحالات؛ فيبتدئ من مستوى التعبير عن الاختلاف وانفصال الطرق، مع نوايا التسامح حسن الجوار:

- "والاستفتاء لا يعني تحديد الحدود، الاستفتاء يعني فتح الأبواب أمام حوار جاد.. حوار بناء.. حوار بقلوب وعقول مفتوحة؛ لكي نبني شراكة حقيقية... طالما فشلنا في بناء شراكة حقيقية لكي نبني صيغة الجيرة الحسنة". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "خلينا نقول من الشراكة الفاشلة إلى الجيرة الناجحة إن شاء الله". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "بلسان فصيح لم يعد لنا أي شيء مع العراق سواء شئنا أم أبينا". (٢٠١٧/٩/١١ ماجد الدباغ)

- "الاستفتاء يطمح الى وضع الأسس الصائبة والقوية لحسن حوار دائم وعلاقات تعاون مثمرة وشراكة حقيقية في العمل من أجل السلام والتنمية وإنهاء مرحلة مظلمة في تاريخ الشعبين ويساهم في بناء شرق أوسط جديد متصلح مع نفسه ومع الآخرين". (٢٠١٧/٩/١٤ سربست بامرني)

وينتقل أحياناً إلى التعبير عن الندية، وهو ما يجسده ببساطة تكوين الخطاب كيانين متقابلين يعبر بهما عن الكرد والعراقيين، هما "أربيل" و"بغداد"، أو "كردستان" و"العراق"، ووضع أحدهما في مقابل الآخر يفصل بينهما العاطف أو الطرف الفارق "بين":

- "لا يجوز حصر العلاقة بين شعب كردستان وبغداد.. بين الإقليم وبغداد بعلاقة شخصين". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "والتعاون يستمر بيني وبين الأخ العبادي، وبين حكومة الإقليم إلى أن تستقل كردستان وبين حكومة بغداد. هذا اللي نتمناه، لا نريد اللجوء إلى العنف". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- تشهد العاصمة العراقية هذه الأيام عهداً جديداً ومختلفاً من المفاوضات السياسية التي كانت تجرى عادة بين أربيل وبغداد بشأن أمور تهم الجانبين". (جلال شيخ علي ٢٠١٧/٩/١٨)

- "البعد الداخلي المتمثل بشقين (داخل كردستان والعراق) وعندما نقارن بين كردستان والعراق سنلاحظ اختلافاً كبيراً بينهما على جميع الأصعدة خصوصاً السياسية والإدارية والاقتصادية". (٢٠١٧/٩/١٨ مؤيد كوران)

يعدُّ ثيو فان ليفان Theo Van Leeuwen التعبير بالمكان عن الفاعلين الاجتماعيين نوعاً من نزع الصفة الشخصية عنهم Impersonalization وتحويلهم إلى موضوع Objectivation، وهو من سمات اللغة الإدارية (البيروقراطية) التي تعبر عن عمل لا يخضع لدافع شخصي، وتضفي عليه قوة غير شخصية^(٢٥). وهذا الوضع المتوازي الذي يوحى به استخدام الكلمتين المتقابلتين هنا يضيف إحياءً بانعدام أية قابلية للتلاقي أو الاندماج، وإحياءً آخر بالتساوي والندية بين الكيانين؛ فلا يبدو أحدهما ذا مستوى هرمي أعلى أو مُتَسَبِّحاً لاحتواء الآخر^(٢٦).

وقد يغالي الخطاب أحياناً ليصل إلى مستوى المواجهة بين الطرفين، التي تجد طريقها إلى التبرير عبر اتخاذ موقع الضحية والتعبير عن تضحيات الكرد وآلامهم، كما في:

- "لا شك في أن الخامس والعشرين من هذا الشهر له معانيه الخاصة لدى جميع الكوردستانيين بمختلف انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية بوصفه ترجمة لدراما مأساوية طويلة عاشها أبناء كوردستان وأيضاً هو عصارة النضال لثورات الكورد والكوردستانيين في كولان وأيلول وهو تنضيد لدماء الشهداء التي سالت طول مرحلة النضال التي ربما اجتازت المئة عام، كما هو الرد المناسب لمن قطع الأرزاق وجوع الشعب ونكت بالاتفاقيات وأهمل الدستور وانتهج سياسة أحادية الجانب حبال مكون دون غيره." (٢٠١٧/٩/١٠ عصمت رجب)

- "فالقضية الكوردية والكوردستانية التي بدأت مع بدايات التاريخ المعاصر، وظهرت ملامحها مع تأسيس الدولة العراقية، واستمرت عشرات السنين مقدمة آلاف الشباب من الشهداء وقوداً لها، مستنيرة بعزم وأمل وطموح رجال أبوا أن يتراجعوا عن رد الذل إلى أوكاره والمطالبة بصيانة حقوق جماهيرهم وتقرير مصيرهم بيدهم ليعودوه عن الاستعباد والمذلة." (٢٠١٧/٩/١٠ لؤي فرنسيس)

أو عبر التعبير عن الخطر المحقق بهم من قبل الطرف المقابل:

- "مررنا بتجارب مريرة جداً... كنت أتمنى ألا تصل الأمور إلى ما وصلت إليه اليوم. أقسم بالله العظيم لو كنت (متأكد) لو كنت مطمئناً بأن هذا الوضع سيبقى ولن يتم التحرش بكردستان ربما كان نقبل بأن نستمر في هذه.. بالرغم من كل الخلافات والمشاكل." (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "لعل قرار الاستفتاء الذي اتخذه الرئيس بارزاني كان لإنقاذ شعبه من الظلم والاستبداد ومواجهة مشاريع دول المنطقة التي تنفذها عبر ميليشياتها لتحقيق هدفها القائم أساساً على إفراغ المنطقة من الشعب الكوردي وإنهاء القضية الكوردية الخطرة في منظورهم السياسي بوصفها تعد تهديداً لكياناتهم التي تستعمر كوردستان منذ مئات السنين." (٢٠١٧/٩/١٠ كجال درويش)

- "ما أن أصدرت القيادة الحكيمة لإقليم كوردستان قرار إجراء الاستفتاء... حتى تفشت بعض الأمراض العقيمة في المجتمع العراقي." (٢٠١٧/٩/١١ حسن سنجاري)

- "مع كل يوم يقترب فيه شعب كوردستان من العرس الوطني للاستفتاء الشعبي ٢٥-٩، يتصاعد ويحتدم سعار العنصريين والطائفين وعلانهم الخونة ضد شعب كوردستان وحقوقه الديمقراطية، ويتواصل تهديدهم ووعدهم بالويل والثبور. وكان الاستفتاء مؤامرة كونية ضد البشرية جمعاء، فهذا الذي يتوسل ويرجو تدخل القوى الإقليمية وذلك الذي يقرع طبول الحرب وآخر يهدد بالحصار والموت جوعاً، بالإضافة إلى محاولة هذه العقليات المريضة للربط المزري والمخجل للاستفتاء بالمؤتمرات الدولية وأمريكا وروسيا وإسرائيل... إلخ من الهرطقات الغبية والتوليفات المثيرة للسخرية التي تنم عن حقيقة

ومستوى هذه العقليات الضحلة والمرعوبة من ممارسة شعب كردستان لمبدأ ديمقراطي وبالطرق الحضارية والسلمية". (٤/٩/٢٠١٧ سربست بامرني)

ويلفت في المجموعتين السابقتين من المقتبسات حشد الألفاظ والتعبيرات الانفعالية المعبرة عن الآلام وصور العذاب، وطول زمانها، وكبر حجمها، وبشاعة المسؤولين عنها، وإسناد أفعال سلبية أو همجية إليهم. كذلك يلفت اللجوء إلى بعض استعارات تشويه الطرف الآخر والتضخيم من خطره؛ كتمثيله في صورة حيوانية متوحشة ("أوكاره" - "سعار")، أو تقديمه كمريض يستدعي الحجر وانفصال الأصحاء عنه (سعار - العقليات المريضة - تقشت بعض الأمراض العقيمة).

ويقترب من هذا النوع ربط الطرف الآخر بمحطات تاريخية سلبية الذكر:
- بأي مادة دستورية قطعتم أرزاق شعب كردستان؟ هل فيه مادة دستورية تسمح لكم بارتكاب...؟ هذه جريمة لا تقل عن جرائم الأنفال، هي أنفال بطريقة أخرى". (بارزاني ٢٠١٧/٩/١٦)

- "إن عقلية الفرهود ما زالت تتحكم بمفاصل المجتمع العراقي وما أن يتجلى ضعف الحكومة حتى تهب القوى المختلفة، السياسية والعشائرية وشذاذ الأفاق، تنفيذ هوايتها في نهب الممتلكات، سواء العامة أم الخاصة. وفرهدة بيوت المستهدفين من المغضوب عليهم تقليد جرى في مختلف العهود في العراق، فما زال فرهود اليهود ذكرى أليمة تخيم على مخيلة اليهود العراقيين، وفرهود الكورد الفيليين في زمن صدام ما زالت آثاره قائمة، وفرهود الإيزيديين ما زال ينكأ الجراح للطائفة الإيزيدية الكريمة، وفرهود القوم ساعة التغيير عام ٢٠٠٣ حتى استحق أهل البلد لقب علي بابا بامتياز يشهد على أن عقلية الفرهود ما زالت سائدة في الوسط العراقي وقانا الله شرها وشر أهله". (٤/٩/٢٠١٧ مؤيد عبد الستار)

فأما "جرائم الأنفال" فيُقصد بها الحملة التي شنّها نظام الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين ضد تمردات في بعض المناطق الكردية سنة ١٩٨٨. وأثّم فيها بارتكاب جرائم حرب، وأما "الفرهود" فاسم يطلق على مجموعة من أعمال العنف استهدفت يهود العراق في الأربعينيات من القرن العشرين - تحت أوضاع معقدة لا مجال لتفصيلها -، وأسهمت في تسريع هجرتهم من العراق.

ولا شك في أن هذا الربط بين الوضع العراقي المزامن للاستفتاء وتلك المحطات التاريخية ذات الطابع الطائفي المعادي للأقليات يسم العراقيين المعاصرين بالسبّة نفسها، خاصة مع تكرار استخدام كلمة "فرهود" مع محطات تاريخية لاحقة للفرهود الأول، وبعضها ليس ببعيد عن زمن الاستفتاء، علاوة على إدخالها في صياغات واشتقاقات جديدة. وهو ما يندّر بضرورة اتخاذ موقف حاسم منها؛ هو دعم الانفصال، أو ترقب العواقب السابقة نفسها.

□ خاتمة:

ما من بحث وحيد يمكن له الإلمام بخطابٍ كاملٍ لهويةٍ ما في تشُّعبه وامتداداته السياسية والثقافية، ولا الكشف الكامل عن حفریات تكوينه وعوامله الضاربة عمقاً في التاريخ وموروثاته، لكنها محضُ قراءةٍ للحظةٍ تاريخيةٍ تُشكِّلُ قطاعاً عَرَضِيًّا في جسد ذلك الخطاب، تحاول الكشف فيها عما هو عارضٌ وما هو قارٌّ، قراءة يمكن تلخيص أهم سطورها فيما يلي:

١. حاول الخطاب الكردي الناطق بالعربية حول استفتاء ٢٠١٧ أن يبتعد بتكوينه لمفهوم الشعب عن الدلالة القومية العرقية؛ مراعيًا في ذلك الأقليات والتعدّات العرقية والدينية التي تضمها منطقة نفوذه.

٢. في تلك المحاولة وقع الخطاب في إشكالية سياسية ولغوية تمثلت في ابتعاده بدلالة لفظ "الشعب" عن النمط الرئيس السائد له في أذهان المتلقين؛ فابتعد به عن الرابطين القومي العرقي واللغوي، ولم تُبذُ الروابط المكانية والمؤسسية والثقافية – كما قدّمت تمثيلاتهما اللغوية في الخطاب – كافية أو وافية لمهمة تعيين الشعب؛ وبالتالي لم ينجح الخطاب كثيرًا في إقناع غير الكرد بلزوم قيام "دولة كردستانية" ذات شعب مستقل.

٣. عمد الخطاب إلى إنشاء نموذج إدراكي أو مشهد خطابي خاص به يتوافق مع المفهوم غير النمطي للشعب ويفسره؛ فاتَّجه إلى تنشيط الإطار الدلالي الخاص بالعقد الاجتماعي الداخلي للدولة وعلاقات التعايش بين أهلها، بدلاً من الإطار الدبلوماسي الخارجي المرتبط بتمييزها بين باقي الدول، وهو ما يفسر تركيز الخطاب على عناصر التعددية والتسامح وقبول الآخر من بين عناصر الرابطة الثقافي بين مكونات الشعب من جهة، وانطلاقه منها من جهة أخرى إلى بناء حد فاصل بين جماعة الانتماء (الكرد) وجماعة الآخرين (العراقيين)؛ إذ فقد الخطاب بإنكاره الدافع العرقي للانفصال أية دوافع أخرى سوى هذا الاختلاف في القيم – كما يعبر عنه –.

٤. في هذا كله جسَّد الخطاب الكردي الناطق بالعربية تحولاً في تشكيل أحد موضوعات تشكيلته الخطابية الأساسية؛ متأثراً بالعلاقة الجدلية التفاعلية بين الإرث الخطابي والواقع السياسي والاجتماعي، التي أدت بنماذج الخطاب إلى شيء من التذبذب في التعبير عن الموضوعات والعلاقات.

□ الإحالات:

١- تَدَخَّلْتُ في مقبسات الخطاب المكتوب الواردة في هذا البحث بتصحيح بعض أخطاء النحو والإملاء؛ بسبب كثرتها، أما الخطاب المنطوق فالنتمت نقله بالصورة التي ألقى بها - قدر الإمكان -، ولم أتدخل في أخطاء الصياغة في أي من النمطين.
ومن الجدير بالذكر أن مدار هذا البحث ليس خطاب مجموعة من الناطقين بغير العربية في أصلهم، بل مجموعة من كرد العراق، وهم في معظمهم مزدوجو اللغة.
والمقالات جميعها متاح على الموقع الرسمي للجزيرة:

<http://www.altaakhipress.com>.

٢- مقالات ودعوات عدة منتشرة في المواقع الكردية على شبكة الإنترنت.
٣- علاوة على ذلك فحتى إن كان أصحاب المعجمات العربية القديمة قد أخطأوا في رد الكلمة إلى الجذر العربي "كرد"، فإنه من المتعارف عليه أن اللغات لا تلتزم نقل أسماء البلدان والجنسيات كما هي تماما في لغاتها الأصلية باطراد؛ فمن يكتب بالإنجليزية مثلاً لا ينقل أصوات "مصر" (Misr) بدلاً من استخدام "Egypt"، ولا يكتب "Deutschen" بدلاً من "Germans"، كذلك فإن من يكتب بالعربية لا يعرب نطق "Österreich" بدلاً من "النمسا"، ولا يستخدم "تهران" بالناء المكسورة بدلاً من "طهران" بالطاء المفتوحة... الخ، أيًا كانت الأصول التاريخية والحضارية والثقافية لأي من الكلمات في لغتها الأصلية.

٤ - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، مج ٣، ص ٣٧٦.

٥- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ٢، ج ١، ص ٢٤٠، ٢٤١.

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١، ج ١٦، ص ٣٠٥.

٦- ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله، ت ٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١، ص ١١٨ وما بعدها.

7- Evans, Vyvyan. A glossary of cognitive linguistics. Vol. 251. Edinburgh University Press, 2007, p. 175.

8- Croft, William, and David Alan Cruse. Cognitive linguistics. Cambridge University Press, 2004, pp. 77 et seq.

&

Cruse, David A. A glossary of semantics and pragmatics. Edinburgh University Press, 2006, pp. 146- 148

٩- أحيانا تُترجم cognitive بـ"المعرفي"، كذلك استُخدم في بعض الكتابات المترجمة لفظ "المؤتمل" لترجمة idealized بدلاً من "المثالي".

10- Croft, William, and David Alan Cruse. Cognitive linguistics, p. 28.

١١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية/ مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤، ص ٤٨٣ (مادة "شعب").

١٢- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨، ج ٢، ص ١٢٠٣ (مادة "شعب").

١٣- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٣، ص ٤٧٩، ٤٨٠.

١٤- أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري (القاهرة)/ دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط ١، ١٩٨٩، ص ١٠٥.

١٥- وضاح زيتون: المعجم السياسي (معجم المصطلحات السياسية)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، ط ١، ٢٠١٠، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

16- <https://www.merriam-webster.com>.

١٧- عادل مصطفى: المغالطات المنطقية - طبيعتنا الثنائية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٧٧.

18- Verkuyten, Maykel. "Discourses of ethnic minority identity." *British Journal of Social Psychology* 36, no. 4 (1997), p. 568.

19- Cienki, Alan. "Frames, idealized cognitive models, and domains." In *The Oxford*

handbook of cognitive linguistics, ed. by Dirk Geeraerts and Hubert Cuyckens, Oxford University Press, 2007, p. 176

20- Lakoff, George. *Women, fire, and dangerous things: What categories reveal about the mind*. Chicago: University of Chicago press, 1987, pp. 68- 76 (part I, chapter 4)

21- Croft, William, and David Alan Cruse. *Cognitive linguistics*, p. 32.

يناقش لاکوف مثال الكذب هذا مناقشة مطولة، يُعدُّ فيها أن الحقيقة والزيغ الخارجين عن اعتقاد المتكلم أقل الشروط أهمية في إدراك الناس للكذب، وأن الأهم هو رغبة المتكلم في التعاون أو عدمها، كما أنه يتطرق إلى العديد من الحالات غير النموذجية للكذب، مثل: الكذبة البيضاء، والتأدب الاجتماعي، والمزحة، والمبالغة، والخيال، والخطأ... الخ.

راجع:

Lakoff, George. *Women, fire, and dangerous things*, pp. 71- 74.

22 - Fillmore, Charles J. "Scenes-and-frames semantics." In *Linguistic structures processing* 59, ed. by Antonio Zampolli, North Holland Publishing Company, 1977, p. 66.

٢٣- فيركلوف، نورمان: الخطاب والتغير الاجتماعي، "الخطاب والتغير الاجتماعي"، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص٦١-٦٤، ٨٣.

24- Sheyholislami, Jaffer. *Kurdish identity, discourse, and new media*. Springer, 2011, p. 202.

25- Van Leeuwen, Theo. *Discourse and practice: New tools for critical discourse analysis*, pp. 46, 47.

26- Verkuyten, Maykel. "Discourses of ethnic minority identity, pp. 567, 568.

المصادر والمراجع: □

أولاً: مصادر الدراسة:

١. كلمة السيد مسعود بارزاني في الاجتماع مع مكونات سهل نينوى في محافظة دهوك ٢٠١٧/٩/١٦ (خطبة).
٢. "الاستفتاء وليد نضالنا"، عصمت رجب، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٠ (مقال).
٣. "لن يعلنها إلا بارزاني ... دولة الكورد قادمة"، كجال درويش، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٠ (مقال).
٤. "كلُّ بيكي على ليلاة"، لؤي فرنسيس، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٠ (مقال).
٥. "هل هكذا تعبرون عن حكيم لكوردستان وعوائل الشهداء الأبرار؟"، ماجد الدباغ، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١١ (مقال).
٦. "الشرعية في كوردستان تواجه تحديات غير شرعية"، سوزان ناميدي، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١١ (مقال).
٧. "هستير يا الاستفتاء"، حسن سنجاري، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١١ (مقال).
٨. "البنية التحتية لدولة كوردستان سترتقي إلى مصاف الدول المتقدمة"، لطيف دلو، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١١ (مقال).
٩. "استفتاء كوردستان ودوي طبول الحرب"، سربست بامرني، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٤ (مقال).
١٠. "الاستقلال يعني ثروات كوردستان للكورد"، جان كورد، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٤ (مقال).
١١. "تهديد الكورد الفيليين بالويل والثبور"، مؤيد عبد الستار، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٤ (مقال).
١٢. "دولة كوردستانية ليست دولة قومية"، عبد الباسط سيدي، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٧ (مقال).
١٣. "سهل نينوى يز هو بخليطه العطر"، عصمت رجب، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٧ (مقال).
١٤. "أيها الكورد اتقوا النقيبة"، جلال شيخ علي، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٨ (مقال).
١٥. "الاستقلال بين ٣ أبعاد رئيسة"، مؤيد كوران، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٨ (مقال).
١٦. "كوردستان مئة وخمسون عامًا من التضحيات"، ديار حاجي، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/١٨ (مقال).
١٧. "الكورد في الحساب العربي الحديث"، نالين عيدو، جريدة التأخي، ٢٠١٧/٩/٢٥ (مقال).

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة:

١. أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري (القاهرة) // دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط١، ١٩٨٩.
٢. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ج٢.
٣. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ج١.

٤. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ج١٦.
٥. عادل مصطفى: المغالطات المنطقية - طبيعتنا الثانية وخيزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
٦. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٣.
٧. فيركلوف، نورمان: الخطاب والتغير الاجتماعي، "الخطاب والتغير الاجتماعي"، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥.
٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية/ مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤.
٩. ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله، ت ٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١.
١٠. وضاح زيتون: المعجم السياسي (معجم المصطلحات السياسية)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٠.
١١. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، مج٣.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Cienki, Alan. "Frames, idealized cognitive models, and domains." In *The Oxford handbook of cognitive linguistics*, ed. by Dirk Geeraerts and Hubert Cuyckens, Oxford University Press, 2007.
2. Croft, William, and David Alan Cruse. *Cognitive linguistics*. Cambridge University Press, 2004.
3. Cruse, David A. *A glossary of semantics and pragmatics*. Edinburgh University Press, 2006.
4. Evans, Vyvyan. *A glossary of cognitive linguistics*. Vol. 251. Edinburgh University Press, 2007.
5. Fillmore, Charles J. "Scenes-and-frames semantics." In *Linguistic structures processing* 59, ed. by Antonio Zampolli, North Holland Publishing Company, 1977.
6. Lakoff, George. *Women, fire, and dangerous things: What categories reveal about the mind*. Chicago: University of Chicago press, 1987.
7. Sheyholislami, Jaffer. *Kurdish identity, discourse, and new media*. Springer, 2011.
8. Van Leeuwen, Theo. *Discourse and practice: New tools for critical discourse analysis*.
9. Verkuyten, Maykel. "Discourses of ethnic minority identity." *British Journal of Social Psychology* 36, no. 4 (1997).

رابعاً: موقع الإنترنت:

1. <https://www.merriam-webster.com>.

